

رسالة العظيم هي القيمةُ الكبرى



«قد يكونُ مولدُ العظيم قيمةً، لكنَّ رسالته هي القيمةُ الكبرى».

وفي هذه الأيام نستقبل ذكرى ولادة نبيِّنا محمدٍ (ص)، القضية هي أن نتمثِّله هو في رسالته المتمثلة في شخصه، فرسول الله (ص) إسلامٌ كلاًه، وهو القرآن الناطق، عقله عقلُ الإسلام، وقلبه قلب الإسلام، ومنطقه منطلق الإسلام، وحركته حركة الإسلام، فليس فيه شيء غير الإسلام حتى وهو يعيش في بيته مع عياله، وحتى وهو يتحدث مع الناس. فرسول الله (ص) لا يمكن أن يقترب من الباطل حتى في طريقة أكله وشربه.

التكامل في شخصية الرسول (ص):

ولهذا فإنَّ الحديث عن أنَّ رسول الله (ص) يخطئ في غير مجال التبليغ، حديث عن تقسيم شخصية رسول الله (ص)، فبعض الناس الذين يتحدثون عن عصمة في التبليغ وعن خطأ يمكن أن يمتدَّ إلى الانحراف العملي أو في واقع الحياة، لا يعرفون حقيقة الإنسانية، وهي أنَّ الإنسان واحد فينا، فأنت إمَّا أن تكون معصوماً بملكك، وإمَّا أن تكون غير معصوم بملكك، إمَّا أن تكون معصوماً في جانب، وغير معصوم في جانب، فمن الذي جزَّأ عقلك حتى يلتقي بالباطل تارةً ويلتقي بالحقِّ - أخرى فتضع بذلك الفواصل لتجعل فيه منطقة للحقِّ - وأخرى للباطل؟ ومن الذي قسم قلبك فجعلك تنفتح في عاطفتك على الحقِّ تارةً، وتنفتح على الباطل تارةً أخرى، ليكون هناك فاصل بين الحقِّ - والباطل في قلبك.

إنَّنا نفهم معنى العصمة في النبوة من خلال فهم معنى النبوة في الدور، فهي ليست مجرد شخص يحمُّ له الله رسالة ليكون بمثابة ساعي البريد للناس في إبلاغ الرسالة ويرجع إنساناً عادياً كبقية الناس، وهي في معناها: رسالة الله التي لا بدَّ أن تتجسَّد في الرسول كما في الوحي، بحيث أنَّ الله يريد أن يغيِّر العالم على أساس الحقِّ - من خلال إنسان يتجسَّد فيه الحقِّ، وإذا عرفنا أنَّ الله الذي يخلق الشمس نوراً كلاًها، ويخلق ماءً يتفجَّر بملكه ويعطي بملكه، فلماذا لا نتصوَّر أن يخلق الله إنساناً هو النور كلاًه؟ كيف هو النور في نفسه؟ لقد خلق الله له عقلاً فيه كلُّ الإضاءة فلا ينفث إلا على الحقِّ -، وخلق له قلباً يملك موازين العاطفة في حركة العاطفة بالحقِّ -، وهده الصراط المستقيم في حركته.

ولادة السيّد المسيح (ع) :

والمورد الآخر، هو ولادة عيسى (ع) باعتبار أنها مظهر لقدرة الله وإلا فإنّ الإسلام بشكل عام لا يهتم بمناسبات المولد، بما هي تاريخ للحظة تاريخية معينة بعيداً عن المفاهيم العقيدية والتربوية، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة تأكيد حديث بعض الناس أنّ الاحتفال بالمولد بدعة فهذا كلام لا معنى له.

ففي الإسلام حركة العظيم هي القيمة الكبرى، ودور العظيم هو القيمة، ورسالة العظيم هي القيمة، ولذلك نرى أننا عندما تحدث القرآن الكريم عن النبيّ (ص) لم يتحدث عن مولده أبداً (هوّ الذّي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ) (الجمعة / 2)، (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) (الأحزاب / 45).. إلخ، فكلّها تتحدث عن الرسالة، وهكذا بالنسبة للأنبياء، وعلى هذا فإنّ الإسلام يريدنا أن نرتبط بالناس من خلال دورهم الحركي، فمقدار ما يملك الإنسان من دور حركي وعطاء للإنسانية بحيث يغني الحياة، يمكنك أن تتحدث عن تاريخه، فتاريخ الإنسان يبدأ من دوره لا من ولادته، وقد نحتاج أن ندرس حياة الإنسان منذ ولادته لنفهم بعض المؤثرات، أو نحيط بالشخصية كلّها، كما في اهتمامنا بحياة الأنبياء والأئمة (ع) منذ ولادتهم.

أفضل هديّة :

ولهذا فنحن نحتمل في مولده وفي مبعثه وفي إسرائه وفي معراجه على أساس أننا نحتمل به بصفة أنّّه رسول الله وأنّه يمثل الإنسان الكامل، وأنّه يمثل قرآناً يتحرّك، فلقد كان الناس يقرأون القرآن من خلال كلماته، وكانوا يقرأون القرآن من خلال سيرته، وكانوا يسمعون منه الآيات ويتمثلونها في ملامحه وفي كلّ حركته وحياته.

ومن هنا أتريدون أن تقدموا هدية لرسول الله (ص) في عيد مولده كما اعتدتم ذلك في تقديمكم هدية لإنسان ما في عيد ميلاده؟ لا تقدّموا له الزينات في شوارعكم، ولا أناشيد المولد في موسيقاكم وألحانكم وحسب بل ليقدّم كلّ واحد نفسه إلى رسول الله (ص) مسلم القلب والحركة والعلاقة والتطلّع ليقول له: يا رسول الله إني أقدم نفسي كمسلم يعيش الإسلام من خلال كل ما عشته وبلغته، فهي أعظم هدية تقدّمها لرسول الله (ص).

وإذا كنت تعصي الله قبل ذلك في الصغير والكبير وجاء يوم المولد وأصبح الصباح عليك فتدّب إلى الله من ذلك وقدمت توبتك هدية لرسول الله (ص) فإنّه جاء ليتوب الناس عن الشرك، وعن الكفر، وعن العصبية.

وإذا كنت متعصباً لعائلتك أو لشخصك أو لمن تحب، فقل لرسول الله (ص): يا رسول الله كما أنّ الذين أسلموا على يدك منذ البداية رفضوا عصبياهم وجاؤوا إليك من أجل أن يعيشوا الرسالة معك بعيداً عن العصبية فإننا نرفض العصبية.

ليعيش رسول الله (ص) في عقولنا عقلاً إنسانياً منفتحاً على الحقّ، وليعيش في قلوبنا عاطفة إنسانية تتحرّك في الخط العاطفي على أساس الحقّ، وليعيش رسول الله (ص) في حياتنا حركة للدعوة إلى الله، وللجهاد في سبيله.. وليكن كلّ واحد منّا رسول الله (ص) ولو بنسبة الواحد إلى الألف، وليكن فينا شيء منه، من أخلاقه، ومن تقواه، ومن روحانيته، ومن حركته، ومن بطولته في سبيل الله، فذلك هو معنى المولد ومعنى الاحتفال بالمولد. ▶